

علاقة الزي بالهوية الوطنية وتطوره وآلية الحفاظ عليه

الباحثه: رجاء الميناوي

علاقة الزي بالهوية الوطنية وتطوره وآلية الحفاظ عليه

مقدمه:

يعتبر الزي الشعبي الفلسطيني جزءاً من الزي الشعبي لبلاد الشام، مع بعض الاختلاف في طريقة التطريز أو الألوان للأزياء النسائية وبعض القطع والألوان بالنسبة للأزياء الرجالية. وتشكل الأزياء والتراث الفلسطيني نتاج حضاري عبر آلاف السنين وتراكماتها وتعب الجدات والأمهات منذ الكنعانيين، وخلال السنوات الماضية أدخلت تعديلات كثيرة على عالم الأزياء الفلسطيني وصنعت عشرات القطع الحديثة من المطرقات لتتناسب ومختلف الأذواق والمناسبات ولم يعد الأمر يقتصر على الأثواب، ولكن بقيت الأثواب الفلسطينية تحظى باهتمام عالمي متزايد. وتنشط مؤسسات فلسطينية ونساء فلسطينيات في ترويج الأثواب الفلسطينية على مستوى عالمي حيث يزداد الطلب على المطرقات التي يعود تاريخها لزمن الكنعانيين.

تراثنا الشعبي يزخر بالفنون الجميلة والحكمة والنبوغ والأحاسيس ما يشدنا اليه، صنعه أجدادنا وجداتنا جيلاً بعد جيل، ويحق لنا التمتع بجماله والتعرف على التراث العريق الأصيل الرائع وتراثنا الشعبي يزخر بالفن الشعبي الذي تميزه عن الشعوب الأخرى، توارثناه عن الأجداد حتى صار لنا الهوية والمرآة التي تعكس حضارتنا، ويعني التراث مجموعة الفنون : الأزياء الشعبية، والفخار، والزجاج، وتشكيل الحصى والسجاد، والصناعات الجلدية والنحت والتصوير، والرقص والغناء الشعبي والأدب الشعبي.

لقد أظهرت الحفريات الأثرية في فلسطين بأن النسيج كان معروفاً لديهم منذ القرن الرابع قبل الميلاد، فعند وصول الحضارة الى فلسطين وابتداء من العصور الوسطى عرفت في فلسطين مراكز لحياكة السجاد كصفد والمجدل ونابلس وأبو ديس والجليل وغزة والناصرية ففي هذه المدن حاك النساجون أجمل أنواع السجاد والألبسة. واعتمد الفلسطينيون فن النقش واعتبر أهم الفنون التقليدية وهو ما يميز الشعب الفلسطيني مقارنة بالمناطق الأخرى بالعالم العربي،

مميزات الثوب الفلسطيني

من مميزات الثوب الفلسطيني أن كل منطقة تعبر في ثوبها عن طبيعة سكانها فمنطقة الساحل يمتاز بانه خليط اغريقي يوناني في حين يخلو الثوب الجبلي من التطريز بسبب عمل النساء بالزراعة وليس لديهم الوقت للتطريز بسبب العمل بينما يمتاز ثوب منطقة بئر السبع ووسط فلسطين بغزارة التطريز لتوفر الوقت ويمكن معرفة زي المنطقة من خلال الألوان والزخارف فالأحمر لرام الله والبرتقالي لبئر السبع والزخارف والتطريز الموجود على الثوب يعكس البيئة المحيطة، كما يعكس الوضع الاقتصادي والجغرافي وإذا كانت عزباء أو متزوجة حيث كانت كل مدينة أو منطقة تمتاز بتطريز ونوع قماش وألوان. ورغم هذه الاختلافات المحلية والإقليمية إلا أنه لا يزال التطريز والملابس الفلسطينية تنتج في أشكال جديدة جنباً الى جنب مع الثياب والموضة الحديثة.

والأزياء الشعبية الفلسطينية هي أحد الفنون التي يتشكل منها الفلكلور الفلسطيني ومعنى كلمة فلكلور اللاتينية الأصل (حكمة الشعب)، نعم انها حكمة تراكت وتجمعت عبر السنين من جيل الى جيل، فكم جميل أن نتعرف على ما أبدعته جداتنا من تصميم وزخرفة وتطريز رسومات وألوان جذابة لتكون الأزياء الشعبية الفلسطينية، فالمطرزات عراقية الماضي وأصالة الحاضر والمستقبل. لقد استعملت جداتنا المبدعات الإبرة والخيط لصنع أجمل التحف وأحلى الثياب، تعلمن من امهاتهم وعلمن بناتهن بكل أمانة ودقة تفاصيل. وتطريز الأثواب يختلف من حيث الشكل والكثافة باختلاف المدينة وموقعها الجغرافي وهنا يكون مدخل للتراث، فهو كل ما ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد والخلف عن السلف من أدب ولغة وفكر وعلم. والتطريز: صناعة حرفية فلسطينية عريقة تعتمد اعتماداً كبيراً على الأيدي النسائية الخبيرة في الريف والقرى وبعض مدن فلسطين حيث يتم توارث اتقان هذه الصناعة الدقيقة في الأسرة من جيل لآخر. وتتميز التطريز الفلسطيني بدقته المتناهية واعتماده المطلق على العمل اليدوي وتستخدم المرأة في تطريزها خيوط الحرير الملونة، ويختلف تطريز الأثواب من حيث الشكل والكثافة باختلاف المدينة وموقعها الجغرافي.

ويتميز التطريز الفلسطيني بدقته المتناهية واعتماده المطلق على العمل اليدوي وتستخدم المرأة في تطريزها الأشكال والمزركشات والخيوط الملونة المختلفة

ولدراسة ثوب ما لا بد من معرفة جغرافية المكان وزمان صنع الثوب أو خياطته ومعرفة مدى ثقافة صانعه، التي هي رمز وجزء من الثقافة الشعبية السائدة. لأن المرأة الفلسطينية تمتلك ثقافة متوارثة منذ مئات السنين تنقلها الأم لابنتها فالمرأة التي ترسم وتصور على ثوبها، تنقل ما يتناسب مع وعيها وثقافتها وتقاليدها. وإذا استعرضنا الأزياء الموجودة في فلسطين نجد الاختلاف الواضح في الزي البدوي في شمال فلسطين وجنوبها، وذلك لاختلاف المكانين وبعدهما واختلاف الوضع الاجتماعي والاقتصادي وثقافة كل منهما وموروثاتهما الحضارية.

والزي الشعبي الفلسطيني ليس واحداً، حتى في المنطقة الواحدة وهذا طبيعي لغنى الثوب بالتطريزات ولحفظ المرأة ونقلها تطريزات جديدة تتلائم مع تطویرها الذهني والحضاري. ولهذا علاقة بالتميز الجغرافي ففي منطقة رام الله وحدها توجد أسماء لأثواب عدة وكل ثوب يختلف تطريزه عن الآخر، كثوب الخلق والملك والرهباني. وللتطريز قواعد وأصول تتبعها المرأة فثوب المرأة المسنة يتسم بالوقار والحشمة واللون الغامق والزخارف القاتمة أما ثوب العمل فلا يزخرف، وتزخرف ثياب الأعياد والمناسبات والمواسم، أما الثوب الأسود بلا تطريز فيغلب في الحزن والحداد. أما ثوب الفتاة فيزخرف بالزخارف والألوان ولا تكتفي المرأة الفلسطينية بتطريز الأثواب، إنما تزخرف وتطرز بمهاراتها وذوقها المخدرات والشراشف والمناديل وهذا كله يدرج في جهاز العروس الذي تبدأ الفتاة الفلسطينية بصنعه في العاشرة من عمرها لتضعه في صندوق مزخرف لا تظهره إلا في المواسم. فالمطرزات الفلسطينية من التراث الفلسطيني الأصل، هي عراقة الماضي وأصاله الحاضر والمستقبل. ومع اختلاط الناس والزيارات المتبادلة بين النساء الفلسطينيات من المناطق المختلفة عملت على التبادل الفني وتأثرن بأذواق بعضهم البعض.

إذا كانت المرأة تتفاخر بثوبها كلباس شعبي تقليدي فإن للرجل في فلسطين لباسه التقليدي أيضاً مع ملاحظة أن التراث الشعبي في فلسطين ينتمي إلى تراث المشرق العربي على صعيد الملابس، ويظهر الزي البدوي في جنوب فلسطين خصوصاً أريحا وبيت لحم وشمال بحيرة طبريا فيكون الثوب أسود طويل.

فقد كان الثوب الأبيض حتى الركبتين وفوقه ما يسمى المنتيان ثم السروال وله جيبان مطرزان على الجانب الخارجي. معظم الرجال كانوا يلبسون الأثواب الطويلة (مثل الدشدشة)

ويتمنطقون بزئار عريض يتدلى منه السلاسل والخناجر وأكياس التبغ والمناديل، ويعتم القرويون بعمائم رمادية فوق الطرابيش.

1- القنباز: يسمى أيضاً الكبير أو الدماية، وهو رداء طويل مشقوق من الأمام، أعلاه ضيق، يستع من الأسفل ويرد من الجانبين المشقوقان حتى الخصر، وقنباز الصيف من قماش الكتان أما قنباز الشتاء فمن الجوخ، ويلبس تحت القنباز قميص أبيض من القطن يسمى المنتيان. وقد انحسر لبس القمباز في مراحل وأماكن محددة، وانتشر لبس السروال وكان يلبس فوقه قميص أبيض من غير ياقة، ويلف على الخصر شملة يراوح طولها عشرة أذرع وكان بحارة يافا متمسكين بهذا الزي.

2- الدامر: وهي جبة قصيرة تلبس فوق القمباز طويلة الأكمام.

3- السروال: يزم عند الخصر بدكة ويكون طويل بحيث يكاد يلامس الحذاء.

4- العباية: تلبس للتباهي والتفاخر، وهي تغطي الدامر والقنباز، وتعرف من جودة قماشها ثراء لابسها أو عدمه، ومن أشهر أنواع العباءات: المحلاوية، والبغدادية، والمزاوية الصوف، والرجاوي، والحمصية، والصدية والخابشية، والعجمية، والحضرية والباشية.

5- البشت: وهو أقصر من العباة، ومنه أنواع أشهرها: الخنوصي والحلبي والحمصي والرازي.

6- الحزام: ويصنع من الجلد أو القماش المقلم القطني أو الصوفي، ويسمى العريض منه اللاوندي.

7- العمامة: تعتم العرب قبل الإسلام، واعتم الرسول (ص) بعمامة بيضاء وأصبحت العمامة في الإسلام تقليداً قومياً رسمياً. ولقد انحسر لبس العمامة الا عند علماء الدين.

توضع على الرأس وتلف من اليمين لليسا، ويلبس الفلاحون الفلسطينيون عمام مختلفة الالوان، ويضع القروي في عمامته أوراقه الرسمية وقد يلبس تحتها طاقية، تسمى العرمية، وفي نظام الإعتماد ألا يضع الفتى العمامة الا اذا بلغ ونبتت لحيته،

8- الطاقية: تصنع من الخيوط البيضاء الكتان بالسنارة ويقطب وفراغات كبيرة لاستعمالها صيفاً كما تصنع من خيوط صوف الغنم ويقطب صغيرة بلا فراغات لاستعمالها شتاء.

9-الكوفية: للكوفية أو الحطة مكانة خاصة عن الوطنيين الفلسطينيين منذ أن اعتمدها زعماء ثورة 1936 بدلاً من الطربوش والعمامة، وهي غطاء للرأس من قماش مربعة الشكل بعضها من الصوف وبعضها من القطن أو الحرير، وتزخرف الحطة بالخطوط المذهبة أو بالرسوم الهندسية الأسود أو الأحمر. أما الرجال في المدينة فيضعونها على أكتافهم وقلما يضعونها على رؤوسهم. ولا يكتمل هندام الكوفية على الرأس الا بالعقال وهو حبل من شعر المعيز مجدول يعصب فوق الكوفية حول الرأس في حلقتين كما لو كان كبلًا للرأس، كانت الكوفية فيما مضى لبس النساء من غير العقال. والعقال يميّز الرجل عن المرأة ، لذا فهو رمز الرولة وله مكانة خاصة وكبيرة عند الفلاحين والبدو، (وهناك مقوله أن الذين لم يثأروا لقتيلهم يحرّمون على أنفسهم لبس العقال، أما إذا ثأروا فيعاودون لبسه لأنهم بذلك يكونوا قد أثبتوا رجولتهم واستحقاقهم لرمزها). وهناك الحطة من الحرير الأبيض الشفاف ويسمى الأيوبال مخطط بخطوط ذهبية وتلبس مع عقال مذهب في الأعياد صيفاً وهناك أيضاً الحطة الصوف وتصنع من صوف الغنم أو الجمال تلبس شتاء.

10-الطربوش: غالباً ما كان يستعمله رجال المدن واسمه من كلمة فارسية عربية في القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي وهو من جوخ أحمر وله زر من حرير أسود مثبت في أعلى الوسط وتتدلى منه شرابه سوداء. حل الطربوش في الدولة العثمانية محل العمامة، ويختلف الطربوش المشرق عن المغربي في أن المشرقي أطول ومبطن بقماش مقوى أو قش لحفظ شكله الاسطواني.

علاقة الزي بالهوية الوطنية

والزي هو أكبر المعالم الفارقة بين الشعوب، خصوصاً في الزمن الماضي فلم يكن إنفتاح على الشعوب إلا ما ندر، لدى التجار ورموز البلاد ولكن اختلفت الموازين فيما بعد، ولم يعد

العلامة الدالة على موطن الشخص، فقد اندمجت الأزياء وتوحدت تقريباً خصوصاً عند السفر للخارج، فمثلاً بدول الخليج نراهم ملتزمين بالزي الخليجي ويسمونهم اللباس الشعبي الوطني وهو بالنسبة للرجال عبارة عن: الدشداشة والغترة (الحطة أو الكوفية) والعقال، يذهبون به للمدارس والجامعات والعمل ويتباهوا به بالمناسبات خصوصاً الأفراح ولكن عند السفر للخارج فهم يلبسون اللباس (الغربي) أي البدة أو البنطلون الجينز والبلوز، حتى بقيت ميزة واحدة عند النظر للشخص للوهلة الأولى وهي هيئته، فيرمز له بأنه عربي أو شرقي آسيوي أو غربي.

إلا أن إرتداء الزي التقليدي يذكر بالتراث الجميل والحفاظ على الهوية العربية الأصيلة.

وعندما نتحدث عن الزي الفلسطيني ومدى ارتباطه بهويتنا، نرى أنه يجب أن يبقى الزي الوطني علامة فارقة يترك بالنفس الأثر والإعتزاز به وتقديره والإحساس بالتميز، وهناك الاخلاقيات والمبادئ التي يختزنها الفكر، فهي ما يمثل الهوية بالشكل المطلوب والأوضح والأسمى والأكثر تمسكاً بالهوية الوطنية. فلماذا لا نهتم بالزي الفلسطيني مثل باقي الشعوب؟؟؟ ففي اليابان مثلاً يوجد تمسك كبير بالزي التقليدي الوطني ويهتموا اهتمام كبير بأمره ويحتفظوا به، والزاماً على كل فتاه يابانية أن ترتديه في المناسبات الوطنية والأعياد، وهذا الإهتمام ملفت للنظر فعلاً ويجعلنا نقف مندهشين أمام الحضارة اليابانية.

تلبس النساء الفلسطينيات الزي الشعبي في الأعراس والمناسبات، كما تلبسها العروس أحياناً ليلة الحناء، رغبة في التغيير النمطي الذي درجت على إرتدائه العرائس وتعزيزاً للهوية العربية العريقة، وما يلفت الانتباه وفي وقتنا الحاضر، لبس الفتيات للثوب المطرز في المؤتمرات والاجتماعات الخيرية والبازارات وافتتاح المشاريع والاحتفالات الرسمية التي يفتتحها المسؤولين.

الأسواق مليئة بالأثواب الفلسطينية المختلفة وبأشكال وموديلات تتناسب والموضة، ومن وجهة نظر بعض الباحثين فإن هذا لا يؤثر على تاريخ الثوب إن لم تتغير فيه أساسيات الشكل والمضمون، فمن المعلوم أن الثوب التقليدي سائر ومحتشم لكل نقشه فيه لها معنى، لذا يجب الحفاظ على هذا من أي تعديل، وتأتي هذه التعديلات بسبب دخول وسائل صناعية

حديثه غير تلك البدائية التي كانت تستخدم فيما مضى، إضافة للإنتتاح والتعرف على حضارات وأذواق الآخرين وهويتهم، وفي ظل المفاهيم المعاصرة أصبح من الصعب جداً إيجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية، وما زاد الأمر تعقيداً تداخل مفهوم الهوية مع المفاهيم الأخرى مثل المواطنة والولاء.

الهوية: تعني الولاء لله وللوطن، كما تعني إرتباط الإنسان بالوطن الذي يعيش فيه وبلغته ودينه وعاداته وتقاليده وإرثه التاريخي. أي الإلتزام بمجموعة القيم التي تنظم العلاقات بين الأفراد وجغرافياً تمت الإشارة للهوية بأنها إرتباط الإحساس بالإنتماء لمساحة جغرافية تسمى وطن. فالهوية هي (عنوان الإنسان واسمه ومكانه وانتمائه) كما أن مفهوم الهوية ارتبط بعناصر المواطنة ويجب الحفاظ على الهوية والابقاء على التراث والاهتمام باللغة العربية والتنشئة الدينية، والاهتمام بالقيم المتوارثة الأصيلة في المجتمع مثل قيمة الصدق والوفاء وحب الوطن. ويمتاز الشعب الفلسطيني عن غيره من الشعوب في أن له قضية واحدة توحدته في كافة أماكن تواجده وهي قضية الأحتلال والأرض التي سلبت منه.

يعرف الجرجاني الهوية بأنها: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق إشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق". في حين أن المصطلح الحديث ينتمي الى علم الاجتماع ويشترك لغوياً من (الهوى) أو الانتماء الذي ممكن أن يتحول الى إدراك متعمق للوجود يجعل العلاقة مع الآخرين متكاملة بينما المواطنة تحدد العلاقة والرابطة بين الدولة والفرد وتبنى على منظومة الحقوق المدنية والسياسية، الأساسية والمكتسب منها، إضافة للواجبات التي تحددهما القوانين الأساسية للدولة، فمفهوم المواطنة ينبثق من الوطن كرابط جغرافي، أما الهوية فتكون أقرب الى التاريخ وقد تتسامى وتتحول لمواطنة وبذلك تكون الأساس لبناء الدولة. فالمواطنة تتعدى كل الهويات الأخرى وهي الانتماء للدولة الحاضنة للجماعات المشاركة في جغرافية الوطن. والهوية قد تكون دافعاً للرفاه تمنح حاملها دفء الانتماء للجماعة وتمدهم بالتضامن والاستقرار ولكن عندما تضيق محدداتها، تتحول الى مصدر للترويع والعنف حينها يكون المدخل هو التفرد.

التراث الفلسطيني بمضامينه المختلفة يعد تعبيراً صادقاً عن الشخصية العربية الفلسطينية بأبعادها وعمقها وعطائها وانتمائها وإنسانياتها وعروبيتها وحرارة صمودها وتعلقها بحريتها

واستقلالها وبناء دولتها كمطلب قومي وأخلاقي. وهنا تتضح النزعة الانسانية من ثورة الانسان على الاحتلال والظلم كفكر رجعي عنصري.

سرقة التراث الفلسطيني

قضايا التراث من أهم القضايا التي أخذت تهتم بها الشعوب خاصة ، انها تشكل قاعدة مهمة في الحفاظ على شخصيات هذه الشعوب وقيمتها الروحية، ولا شك أن التراث الفلسطيني بكل جوانبه يشكل جبهة مهمة حرباً ثقافية وحضارية انها حرب وجود وتراث. لهذا حاول الصهاينة سحق هذا التراث على قاعدة ((ما دامت هناك يد عربية تطرز جهاز العروس فان الروح الفلسطينية باقية لهذا يجب إيقاف هذه اليد)) ، وهكذا أصبح التراث جبهة أساسية وسلاحاً من أسلحة المواجهة من أجل دحض كافة المزاعم والأضاليل التي يروجها الصهاينة حول وجود حقوق الشعب الفلسطيني وتراثه الحضاري والثقافي. هذه المزاعم التي مورست عملياً في عدة صور وأشكال تخدم جميعها دعاية العدو ومزاعمه فكما أعتصبت الأرض، يقوم اليوم بسرقة التراث العربي الفلسطيني من أزياء فلسطينية ورقص شعبي .

فبعد تأسيس دولة إسرائيل قبل أربع وستون عاماً ، لم يغب عن بال الزعماء الاسرائيلية ما يشكله تواجد شعب آخر (الفلسطينيون) يسكن ويشاركهم البلاد التي أقاموا عليها دولتهم، خصوصاً بعد أن إضطرت مئات الآلاف منهم لمغادرة المدن والقرى ليعيشوا نازحين بدول مجاورة تاركين ممتلكاتهم ونسيج حياتهم العائلية والاجتماعية.

ولم يغب عن بال قادة دولة اسرائيل الذين اعتقدوا أن الزمن كفيل بعلاجه وهو ما تعكسه كلمات ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء اسرائيلي الذي قال: "الكبار سيموتون الصغار سينسون"، لقد تحقق الشق الأول من المعادلة فقد مات الكثيرين من الفلسطينيين الذين عاصروا تأسيس دولة اسرائيل على الأرض التي كانوا يسكنونها إما بفعل قوانين الطبيعة أو بسبب الحروب التي طالتهم في المنفى من لبنان الى تونس ولكن هل نسي الصغار؟؟!

لقد قامت اسرائيل في العقود المنصرمة بتسجيل أثوب فلسطينية باسمها في الموسوعات العالمية مثل ثوب عروس بيت لحم المعروف باسم (ثوب الملك) الذي سجلته اسرائيل باسمها في المجلد الرابع من الموسوعة العالمية، ويعتبر ثوب الملك من أجمل الأثواب الفلسطينية ويتميز بغطاء الرأس المسمى الشطوة، وعليه القطع الفضية والذهبية ومرصع بالمرجان، كذلك لم تسلم الكوفية الفلسطينية من السرقة ، فقد قامت مؤخراً شركة الطيران الإسرائيلية (العال) بسرقة الثوب الفلاحي الفلسطيني واقتماصه لموظفي الشركة على متن طائراتها كثوب يعبر عن التراث الإسرائيلي. كما أن (دايان) تدير أكبر معرض في فندق هيلتون بتل أبيب تعرض فيه الأثواب الفلسطينية والزنانير والحطات على أساس أنها تراث يهودي. كما أن اليهود نجحوا في الكثير من سرقاتهم، فهم استوطنوا الأرض وعرفوا أسرار رقصة الدبكة وعزف الشبابة والأرغول وأقاموا فرق يهودية تتدرب باستمرار، يدفعون الأموال للحصول على الأثواب القديمة المزركشة لعرضها في المعارض العالمية على أنها من صميم تراثهم. هذه الأثواب التي لا تقدر بثمن وما ينطبق على الثوب ينطبق على الصناعات التقليدية. حيث صادرت الأواني الفخارية المصنوعة بمختلف مدن فلسطين بدقة ومهارة جمعتها أرسلتها لداخل الخط الأخضر لوضعها بمعارض دائمة أو بيعها في الأسواق السياحية على أنها صناعة اسرائيلية قديمة، كما تعدت على الأماكن التراثية بتدميرها أو تحويلها لمزارات خاصة بهم مثل قبر يوسف عليه السلام.

هذا ما يدعيه الإسرائيليون تراثاً صهيونياً حديثاً يعكس حضارته الممثلة في دولة اسرائيل، فظهرت الفرق الفولكلورية الاسرائيلية في أوروبا بالزي الشعبي الفلسطيني ثوب امهاتنا وجداتنا وتقوم هذه الفرق بإحياء الحفلات المشتملة على الدبكة وعروض الأزياء الفلسطينية القديمة على أساس أن هذا هو التراث الاسرائيلي كل هذا ممهور بنشرات دعائية وشروحات وكتب عن ذلك.

الحياة الشعبية الفلسطينية والتراث تكون مشتركة بين جميع الفلسطينيين ، مألوفة للجميع يتذوقونها ويتباهوا بها ولا يخص فئة دينية أو اجتماعية أو سياسية أو جغرافية واحدة إنما تمثل الهوية الفلسطينية كاملة كما يحسوا ويشعروا بها. وتعطي الشعور بالإعتزاز والثقة بالنفس وبالتراث وتكون رابطاً روحياً وهوية موحدة للفلسطينيين، ثقافة فلسطينية مميزة وهوية

وطنية فلسطينية مميزة، بين جميع الفلسطينيين أينما تواجدوا داخل الوطن أو خارجه شاهدها شخصياً أو عن طريق وسائل الاعلام والمواقع الإلكترونية.

وتؤثر عوامل التنشئة الاجتماعية من خلال عمليات تربوية مرتبطة بتوريث القيم الأصيلة بالوطن والعادات والتقاليد. والمثقفون والجامعيون المعلمات والأساتذة هم الفئة المؤثرة والمسؤولة عن إعداد الأجيال القادمة لأنهم مصدر التنوير والإشعاع الثقافي. ولك مجتمع لا بد وأن يتمتع بشخصية ذاتية خاصة به تميزه عن غيره من المجتمعات والشخصية الأصيلة تتمتع بعدة مزايا إيجابية مثل الاتزان والتعاون والأمانة والكرم والقيم والدين وهذه المكونات بمجملها تشكل الهوية. والتسمية هنا تحتاج لبرامج توعية لتوضيح معنى وقيمة الهوية لتغرس في نفوس الشباب أهمية الحفاظ عليها من أجل التمسك بالعادات والتقاليد والتراث الذي يميز المجتمع والمحافظة عليه.

إن إحياء التراث الشعبي الفلسطيني والحفاظ على خصائصه الفنية وإبراز أصالته يعتبر تخليداً لحضارة عريقة، والفن يظهر مدى ثقافة الشعوب من حيث الزمان والمكان. أما الرموز التي تكون هوية شعب من الشعوب أو أمة من الأمم فإنها تستقي مضمونها ومعانيها وأهميتها من كلا النوعين الرسمي والشعبي من الثقافة والرمو المستوحاة من الثقافة الشعبية وهي العنصر الأهم في تكوين الهوية الجماعية للشعب وهي الجزء المهم في الحفاظ على هذه الهوية ، وفي ضمان استمراريتها وتعزيزها وتثبيتها وذلك للصفات التي تتوفر بالثقافة الشعبية. فالفن يُظهر مدى ثقافة الشعوب وفن التطريز عريق وقديم بقدم فلسطين على خارطة العالم، مارسه أهلها واستخدموا مهنة التطريز، فنتج الإبداع بالمطرزات الفلسطينية وروعته. والثقافة الشعبية أو أساليب الحياة الشعبية هي نتاج عفوي جماعي معبر عن شعور وعواطف وحاجات أبناء الشعب بشكل عام تنتقل من جيل الى جيل وتنتشر بين الناس من جماعة لأخرى بشكل عفوي مشافهة أو عن طريق التقليد والمحاكاة والملاحظة.

نبذه عن فن التطريز الفلسطيني

يعتبر فن التطريز من الفنون الشعبية الفلسطينية التي تحولت عبر التاريخ الى حرفة ومصدر رزق لفئة كبيرة من النساء لتوفر خصائص تتلائم مع البيئة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع

الفلسطيني. ورافق هذا التطور ابتكار نماذج جديدة ذات قيمة جمالية عالية مستوحاه من أصالة الحرفة والتي يزيد الاهتمام بها بالرغم من التطور الحضاري الذي دخل الحياة المعاصرة ، حرفة لا تتطلب معدات معقدة ولا يتقيد الانجاز فيها بزمان محدد . وتمتلك الملابس النسائية قيمة فنية كبيرة فهي مزينة بالنقوش والزخارف وحتى يومنا هذا بالرغم من التطور على مر السنين . ويتميز التطريز الفلسطيني بدقته المتناهية واعتماده على العمل اليدوي وتستخدم المرأة في تطريزها الأشكال والمزركشات والخيوط الملونة.

ويعتبر فن التطريز الفلسطيني أحد الفنون الشعبية التي مارسها الانسان الفلسطيني في المراحل المختلفة، وتوارثته الأجيال فالتطريز يشكل جزءاً هاماً من حياة المرأة الفلسطينية، والتي تستعمله لتزيين الأقمشة والثياب. ومع الوقت تنوعت وحدات التطريز من حيث الشكل والخيوط وهي بجمالها آية في الجمال، وتدل على حضارة عريقة تمتد حتى الكنعانيين. وتعتمد الوحدات التطريزية وطريقة تنسيقها على الثوب الموروث الذي تتعلمه الأجيال اللاحقة من السابقة، ومن أمثلة تلك الأثواب الثوب التلحمي (ثوب الملكة) وهو ثوب عريق كان زي خاص بملكات فلسطين الكنعانيين.

والتطريز فن راقي تمارسه معظم نساء فلسطين وتوارثته الأجيال حتى أصبح هذا الفن الأصل خير سفير لعراقة وأصالة فلسطين، ونلاحظ أن التطريز الفلسطيني برسوماته وأنواعه قد تغير مع مرور الزمن، فقد كان في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ذو رسومات هندسية الشكل، أما في الثلاثينيات فقد ظهرت خيطان التطريز المصنعة في أوروبا ومعها كتيبات تحتوي على رسومات للطيور والأزهار والحيوانات، لذلك تسربت هذه الرسومات لأثواب النساء. وجدير بالذكر والطريف أننا نستطيع معرفة سكن المرأة بمجرد النظر لثوبها المطرز، فالتطريز جزءاً مهماً في حياة المرأة في القرية الفلسطينية، ويقال بأن النسوة كانت تتجمع بالسوق القديم من جميع أنحاء فلسطين ، فتتميز المناطق التي تنتمي إليها بمجرد النظر لأثوابهن، وكانت النسوة تميز المناطق المختلفة والتميز بين القرية والأخرى بعد تفحص الرسومات والوحدات التطريزية وطريقة تنسيقها، وهذه الوحدات هي المؤشر الهام لهوية القرية. فالمرأة عرفت هذه الرسومات وورثتها من أمها وجدتها، إذ أنها تبدأ بتعلم فن التطريز في سن مبكرة حالما تتمكن من الإمساك بالإبرة وتنغرس فيها منذ طفولتها ضرورة نقل

رسومات قريتها على أثوابها. وفي السنوات الأخيرة تمت ملاحظة ظهور سمات جديدة في فن التطريز مرتبطة بالتقاليد المتوارثة عبر العصور، هذه السمات ظهرت في الملابس لتتوافق ومتطلبات الطراز الحديث.

بعد أن اعتادت عيوننا على رؤية كبيرات السن يرتدين الأثواب المطرزة المنقشة الملونة وكثير منهن قاموا بصنع هذه التطاريز، حيث كان فيما مضى اللباس الرسمي لجميع نساء قرى وأرياف فلسطين، ومع اجتياح موجة التمدن أصبح النساء يرغبن باتباع الموضة والبحث عن الأناقة، حتى بات الثوب يشكو الإهمال خصوصاً بعد أن اتجهت الفتاة القروية للدراسة بالجامعات والتوجه للعمل، وأصبحوا ينظروا لهذه الحضارة والزى التراثي على أنها تخالف التمدن فكيف تذهب الفتاة للجامعة أو العمل بذلك الثوب الرائع.

يقول الدكتور حسين الخزاعي، أستاذ علم الاجتماع في جامعة البلقاء التطبيقية: "ان اللباس جزء من ثقافة المجتمع وهو موروث اجتماعي يدخل في إطار العادات والتقاليد للشعوب والمجتمعات، يؤرخ ما مرت به الشعوب من حضارات وأحداث، وهو دليل على وجود منظومة فكرية موحدة وتاريخ عريق بين أفراد المجتمع الواحد، بينما نلاحظ أن الشعوب المبعثرة ليس لها زي معين لوجود اختلاف فكري وماضي غير منسجم".

ليس هناك فرق كبير بين زي المرأة التراثي الفلسطيني والأردني، إذ كان هذا الثوب ثوباً واحداً يجمع بلاد الشام قبل تقسيم البلاد وتوقيع وعد بلفور، وكانت القرية الواحدة تتميز بنقشة معينة ليتمكن المرء من تمييز هوية صاحبه والى أي بلد تنتسب ويكون هذا أدعى للحفاظ على عادات قريتها واحترام سمعتها.

إن التطريزات التي تحمل معنى الصمود والنضال والتضحية عمرها أكثر من 3000 عام اختصت بها اثواب القرى والبلدات الفلسطينية كدليل على ما قدمته تلك القرية من تضحية لفلسطين بشكل خاص وللعرب بشكل عام، واللباس هوية يجب الحفاظ عليها.

وفي وقتنا الحاضر ابتعد اهتمام أفراد المجتمع عن هذا الزي والمشكلة تكمن بعنصر الشباب الذين تمردوا عليه لوجود عدة عوامل أدت الى خلق التفكير الجديد لديهم كالاطلاع على

ثقافات المجتمعات الأخرى وتغير الأذواق، وعدم توجيه من الآباء للأبناء ودفعهم للإحتفاظ بهذا الزي والتمسك به.

آلية الحفاظ على التراث الشعبي وغرسه في الأجيال القادمة

التراث الشعبي من أهم القضايا ودراسته ضرورية ومهمة وهو أمر يحتاج لتضافر الجهود بين المهتمين والمختصين في هذا المجال، لذا وجب علينا الحفاظ على تراثنا وطابعه الأصيل وعدم تهमيشه باسم الحضارة والعصرية، إن الصدفيات والمأكولات التقليدية والرقصات التعبيرية كالدبكة وصناعة الفخار وصناعات تقليدية تقليدية متوارثة منذ آلاف السنين يجب الحفاظ عليها.

فحماية التراث الفلسطيني أصبح ضرورة وطنية ملحة وبالأغة الأهمية لشدة دلالتها على التمسك بالهوية الوطنية، ويؤشر على ذلك بوضوح إتجاه المؤسسات المعنية سواء كانت رسمية كالوزارات والمدارس أو غير رسمية كالجمعيات ومراكز التنمية الريفية ومراكز التراث الشعبي لإحياء المواسم والمناسبات الدينية والشعبية وإقامة المعارض التراثية والمشاركة بها محلياً وعربياً وعالمياً، وإقامة الدورات المتخصصة بالحرف اليدوية والمشغولات التراثية مثل التطريز والزجاج والسيراميك والقش والخزف ودورات الفنون الشعبية مثل الدبكة والرقص والغناء الشعبي، ولا تكاد تخلو مدينة أو قرية أو مخيم فلسطيني من هذه الأنشطة. والملفت للنظر وجود المتاحف المصغرة في عدة جمعيات خيرية كما في جمعية انعاش الأسرة وغيرها وهناك اتجاه لعمل متحف فلسطيني شعبي ليكون نواة الحياة الشعبية الفلسطينية وليضم نواحي الحياة الشعبية الفلسطينية المختلفة والمألوفة، لتتذوقها أجيالنا القادمة ويتباهوا بها، على أن لا تخص فئة دينية أو اجتماعية أو سياسية إنما تمثل الهوية الفلسطينية بمفهومها الكامل. وهناك واجب على الآباء في أن يدفعوا أبنائهم ويشجعوهم للإحتفاظ بالزي الشعبي كما أن المسؤولية تقع على المثقفين والجامعيين والمعلمين الذين يجب أن يعودوا بالذاكرة الجميلة والتراث الأصيل وليدرس في دروس التربية الوطنية والمهنية.

وهنا يجب على القائمين بوزارة الصناعة تجديد هذه الصناعات اليدوية التراثية فمن ناحية يتم تشغيل الأيدي العاملة ومن ناحية ثانية حفظ التراث الفلسطيني، كما أود الإشارة لضرورة العمل على إخراج المتحف الفلسطيني الشعبي الى حيز الوجود، ولا يبقى التراث مجزأً بشبه متاحف في بعض الجمعيات الخيرية مثل جمعية إنعاش الأسرة مثلاً.

وتمتلك الملابس النسائية التقليدية قيمة فنية كبيرة، إذ أنها مزينة بنقوش وزخارف ملونة، وبدأت الدراسات التاريخية للملابس التقليدية الفلسطينية عندما بدأ العمل على جمع المجموعات المتحفية الاهتمام بدراساتها لامكانيتها تحديد خصوصيات معينة تعكس ذوق ومزاج وأفكار هذه المجموعة أو تلك لتشكل مع العناصر الفنية الأخرى نمط مرحلة تاريخية معينة لذا يجب الحفاظ على هذه القطع النادرة وحفظها في متحف التراث كأصل على أن يتم حياة وتطريز مثيلاً لها ومن هذه الأصناف:

الثوب المجلاوي / الثوب الشروقي / الثوب السبعاعي / الثوب التلحمي

الثوب الدجاني / الثوب الاخضاري / الثوب المقدسي / ثوب الجلاية

لقد جمعت الفنانة تمام الأكل مجموعة فريدة من ملابس القرن التاسع عشر وأواسط القرن العشرين وذلك في عام 1970 في الأراضي المحتلة ، وتأسس بهذه المجموعة المتحف الفلسطيني للملابس تحت إشراف منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وعرضت في أنحاء العالم المختلفة. إن السمة العامة التي تجمع بين الأشكال المختلفة للأزياء الفلسطينية هي توافق الخصائص الأساسية التي تميز تطورها ، فالنقوش والمطرزات تعكس عمق وطابع الإدراك الفني المقترن بالوعي العربي الفلسطيني.

ملخص البحث

تراثنا اشعبي عريق أصيل رائع جميل، يزخر بالفنون الجميلة والحكمة والنبوغ والأحاسيس ما يشدنا اليه، صنعه أجدادنا وجداتنا جيلاً بعد جيل، ويحق لنا التمتع بجماله والتعرف على

أركانها، تبهر أنظارنا جماليات الأزياء والأثواب الفلسطينية المزدانة بالتطريزات الملونة، أشكالها وألوانها والتطريزات المرسومة عليها، كيف تم تنسيقها على الأثواب، لنكتشف كل امرأة من أي بلد جاءت. لقد اكتسبت الأثواب الفلسطينية جمالاً فوق جمال فأصبحت المرأة الفلسطينية بزيها كأنها لوحة فنية رائعة.

ولقد بدأ الاهتمام بالتراث والفلكلور الفلسطيني والعمل على نشر المعرفة الفنية والتراثية يكبر ويتسع منذ بداية القرن العشرين، بوصفه أحد أبرز مقومات الهوية الوطنية الفلسطينية، للحفاظ على التراث الشعبي الفلسطيني وهويته من الضياع والانتحال والسرقة.

وبدأ الاهتمام بالفلكلور الفلسطيني والمشاركة في الندوات والمؤتمرات محلياً وعالمياً والقاء المحاضرات وإعداد الدراسات بجوانب متعددة من التراث الشعبي الفلسطيني. في معظمها كان على جوانب الثقافة النظرية في الريف الفلسطيني.

ويعود الفضل للجمعيات النسائية في إحياء أعمال الإبرة وطرق التطريز التقليدية، ولم يقتصر التطريز على الثوب الفلاحي، والملابس النسائية وإنما على مختلف أنواع أعمال الإبرة بما فيها الملابس التقليدية المطرزة والوسائد والمعلقات والشراشف والساعات والمرايا.... الخ.

المصادر والمراجع

- محمد علي الفراء، تراث فلسطين، دار الكرمل، عمان ن 1989.
- عوض سعود عوض، تعبيرات الفولكلور الفلسطيني، كنعان للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1993.
- الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة.

- التراث البدوي أصالة وتاريخ، درعان برجس الوحيدي، منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق، ط1، غزة، 2005
- المجتمع العربي، أحمد موسى، ط1، القاهرة ، 1964.

السيرة الذاتية

الإسم: رجاء حسن علي قمبر الميناوي

رقم الهوية: 940170723

مكان وتاريخ الميلاد: نابلس 1956/11/17

الجنسية: فلسطينية

الحالة الإجتماعية: متزوجه

العنوان: نابلس ، جبل جرزيم ، شارع فطاير العلوي

هاتف محمول: 0599652919

التحصيل العلمي:

الثانوية العامة الفرع الأدبي، مدرسة جمال عبدالناصر، نابلس

دبلوم لغة انجليزية لغير الناطقين بها ، Royal Society of Arts

دبلوم سكرتاريا وإدارة مكاتب/الفرع التنفيذي مع shorthand، معهد الطيرة برام الله

بكالوريوس لغة عربية ، جامعة بيروت العربية

دبلوم ميكرو فيلم ، جامعة الكويت

دبلوم إدارة الأعمال الإنجليزي من معهد Manchester / Bisness Training

الخبرات العملية:

- حالياً رئيس قسم التوثيق بالإدارة العامة للتخطيط في وزارة التربية والتعليم/ الماصيون
وقبلها خمس سنوات ما بين معلمة وسكرتيرة في المدارس وموظف إداري بمديرية تربية نابلس.

- منسقة مشاريع القرى الشرقية لمحافظة نابلس ، عقد لمدة عام مع الـ UNDP

- معلمة ومدربة بمركز تدريب الفتيات التابع لوزارة العمل بنابلس / على مشروع GTZ

- سكرتيرة لمنطقة نابلس التعليمية / جامعة القدس المفتوحة ومسؤولة الشؤون الإدارية والطلابية.

- مدير شؤون الموظفين في معهد الكويت للأبحاث العلمية K I S R بدولة الكويت ولمدة خمس سنوات

- مدير شؤون الموظفين في الشركة الكويتية للمعادن الثمينة Kuwait Precious Metals لمدة سنتين

- سكرتيرة تنفيذية للإدارة المالية بشركة الإستثمارات Gulf Investments Co. لمدة ثلاث سنوات.

- سكرتيرة تنفيذية بشركة طلال أبو غزالة لتدقيق الحسابات بالكويت Talal Ghazaleh & Co. Abo

دورات تدريبية:

دورة الرخصة الدولية لسياقة الحاسوب ICDL ومدتها ستون ساعة

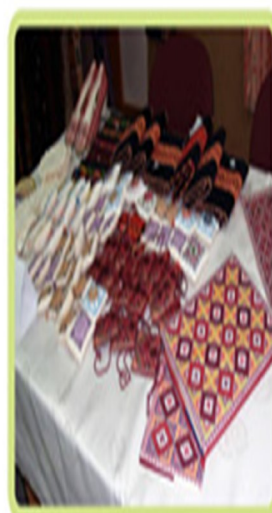
دورة Access & Excel معهد المناهل ومدتها ستة أشهر

دورة Word & Windows جامعة القدس المفتوحة خمسة شهور

دورة فوتوشوب في المعهد الوطني / وزارة التربية والتعليم

دورة SPSS

المشاركة بعدة مؤتمرات وأوراق عمل بالوطن والخارج آخرها المشاركة بمؤتمر الأدب الفلسطيني الرابع بجامعة بيت لحم، بعنوان: التراث الشفوي في فلسطين.







www.panet.co.il









